

ثالثاً : تعليقات ومناقشات



الياء من اسم العلم «العاصي»

للاستاذ صبحي البصام

في كتاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ حيازة في «العاص» لمحققه العلامة أحمد زكي باشا . وهي قوله في أبي أحيحة سعيد بن العاصي بن أمية : «يغلط كثير من ناسخي الكتب وطابعيها فيقولون (العاصي) في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من العوص لا من العصيان ولذلك يقال لهم الأعياص . راجع الاشتقاق لابن دريد ولسان العرب وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب» (ص ١٩٦) . وهذا قول غلط ، وأنا أخذ ههنا بدفعه بالبراهين ، لاعتقاد خاصتنا وعامتنا إياه ، ولاعتيادهم حذف ياء العاصي فيما يكتبون أو يتحدثون فيه ، ولرغبتني في حفظ أصل يوشك أن يُجثت .

ياء العاصي من عمرو بن العاصي

(١) إن «العاصي» في عمرو بن العاصي وغيره من العصيان ، وهو عدم الطاعة لا من العوص . وهو اسم منقوص . وأرى أن الأصل في معناه الحمي الأنف الذي لا يطيع الباغي ولا يبغ له . ولي دلائل على كونه اسماً منقوصاً هي :

(أ) أقوال علماء اللغة :

إن ابن قتيبة مع إمعانه في حذف الياء من هذا الاسم في بعض كتبه نبه عليها في كتابه «المعارف» . قال في عمرو بن العاص «وهو العاصي فحذفت الياء» (ص ١٢٤) . وفي تاج العروس أن الأخفش قال : «هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها وقد لهجت العامة بحذفها» (٢٤٥/١٠) . وفيه أيضاً أن النحاس قال إن قول الأخفش «مخالف لجميع النحاة» ويلى قوله هذا : «يعني أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها» (٢٤٥/١٠) . فلم ينكر النحاس أن أصل العاص العاصي بل أنكر أن لا يُجَاز حذف يائه . وإن قالوا قديماً العاص لما أصله العاصي ، فقد قالوا لنهر في العراق الزاب مع أن الأصل فيه الزابي ، وكذلك قالوا لنهر آخر هو سميّه . وقالوا لهما الزابان والأصل فيهما الزابيان . جاء في كتاب العين (مادة زبي) : «والزابيان : نهران في أسفل الفرات»^(١) ، وربما سموهما مع ما حواليهما من الأنهار الزوابي . وأما العامة فيحذفون الياء ويقولون الزاب كما يقولون للبازي باز» . وانظر في اللسان مادة (زبي) . ومما يدل على أصلهما قول أبي سعيد ابراهيم مولى قائد يرثي بني أمية كما في معجم البلدان (مادة اللابتان) :

وبالزابيين نفوس ثوت وأخرى بنهر أبي فطرُس

وعندي أن لحذف العامة قديماً الياء من «العاصي» في عمرو بن العاصي وفي غيره سببين : أحدهما القصد إلى الاختصار . وإذا كان الاختصار في كلام الفصحاء الأقدمين كثيراً فهو كذلك في كلام العامة . وكان إذا استخفّ الفصحاء اختصار العامة استعملوه . ومن اختصار العامة في العراق في عصرنا هذا حذف الياء من اسم العلم «عبد العالي» فيقولون «عبد العال» لفظاً وكتباً . ويقولون لما هو غاية في الجودة «عال العال» والأصل «عالي

(١) المعروف أن الزابيين بصبان في أعلى دجلة وقد رأيتهما وسجت في أحدهما . ولا صلة لهما بالفرات ، ولم أر حاشية في ذلك للأستاذين محققي الكتاب .

العالي» أي يعلو على العالي . والآخر أن العصيان ورد في التنزيل دالاً على عدم إطاعة الله ، كقوله عزَّ اسمه : «فعضى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً» (المزمل/١٦) ، وكقوله : «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» (الأنعام/١٥) ، فأصبح في أسم العاصي شيء من وخامة ونبو ، حتى أن مطيع بن حارثة بن عوف كان أسمه العاصي فسماه النبي ﷺ مطيعاً ، كما ذكر مؤرخ السدوسي في كتابه «حذف من نسب قريش» (ص ٨٣) . وكان لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بنت أسمها عاصية فسمها النبي ﷺ جميلة ، ذكر ذلك مسلم وأبو داود والترمذي ، كما في التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول (٥/٢٧٥) .

(ب) استطراد :

وإن حذفوا قديماً الياء من اسم العلم العاصي وهو معرّف بالألف واللام فقد أثبتوا ياء أسم علم منقوص غيره مجرد من الألف واللام وفي موضع تنوين وهو «صافٍ» ، كما في تأريخ الوزراء : «على يد صافي الحرمي الخادم» (ص ١٠١) . وكما في نشوار المحاضرة : «يحكى عن صافي الحرمي الخادم» (١/٢٨٧) ، والأصل فيه حذف الياء ، كما في ذيل تجارب الأمم «فوافاه صاف البصري» (١/٢٣٦) هكذا ، ويبيّن أن البصري محرّف عن الحرمي . وكذلك أثبتوا الياء من «غاز» كما في البخلاء : «فقال له غازي أبو مجاهد» (ص ٣٠) والأصل «غازٍ» ، كما في البيان والتبيين : «قال غاز أبو مجاهد» (١/٤٠٠) . وأظن أن إثبات هذه الياء في «صافي» و«غازي» ونحوهما كان بدء تدرّج أدى إلى إثباتها من بعد باطراد في الأسماء المنقوصة المجردة من الألف واللام عند تنوينها .

(ج) المصالحات والرسائل والشعر :

ونصّت المصالحات والرسائل والشعر على إثبات ياء العاصي من هذا الاسم . ففي كتاب عمر بن الخطاب في مصالحته أهل إيلياء : «شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي» (تأريخ الطبري ٣/٦٠٨) . وفي كتاب عمرو بن العاصي في مصالحته أهل عين شمس : «هذا ما أعطى

عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم» (تأريخ الطبري ١٠٩/٤). وفي رسالة لعمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصي كما في فتوح مصر وأخبارها: «إلى العاصي بن العاصي . أما بعد ، فإنك غررت بمن معك . . .» (ص ٥٢ - فرنسا ١٩١٤). وقال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في حرب صفين (تأريخ الطبري ٥٦٣/٤) :

لأصبحن العاصي بن العاصي بسبعين ألفاً عاقدني النواصي
وفي رجز لجرير بن سهم التيمي ، وكان مع علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في توجهه إلى صفين (تأريخ الطبري ٢١٣/٩) .

أن تقتل العاصي والهماما وأن تزيل من رجال هاما
أراد بالعاصي عمراً وبالهمام معاوية ، وقوله العاصي على حذف المضاف أي ابن العاصي :

(د) من عصاة قريش :

وفي اللسان (مادة : عصا) : «وفي الحديث: لم يكن أسلم من عصاة قريش غير مطيع بن الأسود ، يريد من كان اسمه العاصي» . هكذا ، وهو عند مؤرخ السدوسي مطيع بن حارثة بن عوف . وعسى أن يتحقق من الاسم أحد القراء ، فيصلح الفاسد من النصين بكلمة موجزة ، ومن أولئك العصاة العاصي والد عمرو بن العاصي ، ذكر اسمه الزجاج في تعليقه على قوله تعالى : إن شاتك هو الأبر ، قال : «نزلت في العاصي بن وائل» (تهذيب اللغة ٢٧٧/١٤) . ومنهم العاصي بن هشام بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب في معركة بدر ، فقال فيه حسان بن ثابت (السيرة لابن هشام ق ٧٦/٢) :

غداة دعا العاصي علياً فراعهُ بضربة سيف بله بخضيب
ومنهم العاصي بن منبه ، وهو أيضاً قتله علي في بدر (العقد الفريد ٣١٨/٣) . ومنهم العاصي بن أمية ، وسيجيء القول فيه .

(هـ) نصوص أخرى :

ونصوص النثر التي أثبتت فيها ياء العاصي من هذا الاسم كثيرة جداً ، على أنها أقل من نصوص حذفها . وأنقل ههنا أمثلة مختارة منها ، ففي فتوح البلدان «وبعث خالد بن الوليد هشام بن العاصي بن وائل السهمي أخا عمرو بن العاصي» (١١٦/١) . وورد فيه العاصي مقروناً باسم ولده أو مفرداً ستاً وثلاثين مرة وكلها بالياء الا واحدة ورد فيها بحذف الياء (ص ١٢٨) (١) . وقال المصعب بن عبد الله الزبيري في «نسب قريش» في بعضهن : «فتزوجها شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي» (ص ٣٢ . بروفنسال) . واعتماداً على ذاكرتي أقول : لم أر في هذا الكتاب كله لفظ العاصي الا بالياء ، سواء أكان ذلك والد عمرو بن العاصي أم غيره . وفي مجمع الأمثال أن ابن الأعرابي قال : «وحكام قريش عبد المطلب وأبو طالب والعاصي بن وائل» (٢٦/١) ، وانظر في سمط اللالي (٤٨٧/١) . وفي تاريخ الطبري أن زياد بن جزء حدّث «أنه كان في جند عمرو بن العاصي حين افتتح مصر» (١٠٥/٤) . وفي الأغاني «لما مرّ الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية قال بعضهم لخالد : من هذا ؟ فقال كالمستهزىء : هذا عمرو بن العاصي . فعدل إليه الحجاج فقال : إني والله ما أنا بعمر بن العاصي . . .» وفي تنمة الخبر «وانصرف عنه وهو يقول : عمرو بن العاصي ، عمرو بن العاصي» (٣٤٤/١٧) الهيئة المصرية) . وفي الحماسة الشجرية «وقال العاصي بن وائل السهمي» (٢٦/١) ، وفيها : «وقال عمرو بن العاصي بصيفين» (١٩٩/١) . وأكثر ياءات العاصي في هذه النصوص وغيرها وقعت إلى المؤلفين رواية ، ومعها أسانيدها ، وربما طُرحت الأسانيد تخفيفاً ، وأثبت المؤلفون الياءات كما وقعت إليهم إلا أن يكون زيادة من سهو ، فأغلب كلمات «العاصي» بالياء ليست بغلط من ناسخي الكتب ولا طابعيها كما قال الأستاذ أحمد

(٢) وفي كتاب فتوح مصر وأخبارها المذكور آنفاً (المادة ١ - ج) ورد اسم العاصي والد عمرو في بضعة مواضع فكان بالياء فهنَّ جميعاً (وهنَّ ص ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣) .

زكي باشا . وهذه النصوص التي أتيت بها وغيرها كثير هي بقية ما أبقاه القدماء منها بعد ميلهم إلى حذفها في أكثر النصوص . وصحة الياء فيها يعزّزها ما تقدمها من بحث فيها (المادة ١ - آ، ج) .

ياء العاصي من ابني أمية

(٢) إن كان وقع خلاف قديماً في ياء العاصي من عمرو بن العاصي لأن أكثرهم حذفوها مع أنها أصلية ، فليس من خلاف ذي شأن في ياء العاصي وأبي العاصي ابني أمية إلا الخلاف الذي أقامه في العصر الحديث الأستاذ أحمد زكي باشا . ففي أغلب النصوص المعتمدة نجد الياء في أسميهما . وكأني ببني أمية ، ولهم اعتزازهم بإباء أنفسهم ، وتيههم بسلطان دولتهم ، كانوا يأنفون من حذف الياء من اسمي جدّيهم ، سواء أكان الحذف للاختصار أم لغيره (٣) . وأنا ذاكرها هنا ما يدل على أصالة هذه الياء .

(آ) الأعياص من أبناء أمية :

من أبناء أمية على ما ذكر ابن قتيبة في كتابه «المعارف» ، العاصي وأبو العاصي والعيص وأبو العيص ، وهم الأعياص (ص ٣٣ - ٣٤) . وأثبتت فيه الياء من العاصي وأبي العاصي . والعاصي هذا هو والد أبي أحيحة سعيد الذي أنكر ياءه الأستاذ أحمد زكي باشا . وحُذفت الياء من العاصي وأبي العاصي في كتاب «حذف من نسب قريش» لمؤرج السدوسي . على أن ناسخ الكتاب ، كما ذكر محققه الدكتور صلاح الدين المنجد ، وضع تحت الصاد من «أبي العاص» دائرة وكتب في الهامش «صي» وتحتها دائرة (ص ٣١) ، وقال المحقق «يعني أنه يُقال ذلك» . فإن صحّ تفسير المحقق كان ذلك من الأدلة على أصالة الياء ، وعلى بعض الميل إلى حذفها ،

(٣) على ذكر الألفظة من تعديل اسم العاصي أقول في اقتراح تغيير اسم : جاء جدُّ سعيد بن المسيّب الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : ما اسمك ؟ قال : خزَن ، قال : أنت سهل ، قال : لا أُغَيِّر اسماً سَمَّاهُ أبِي . رواه البخاري ومسلم والترمذي . وهي جفوة منكورة .

وعندي أن الذي فعله الناسخ كان اصلاً لغلط وقع فيه . وأرى أن أبناء أمية أولئك ، وأمهم آمنة ابنة أبان قيل لهم الأعياص جمعاً لعيص وهو أحدهم كجمع دين على أديان وعيد على أعياد وكيس على أكياس ، وذلك على التغليب . ونحوه أن أبا طريف عدي بن حاتم حارب في صيفين هو وأبناؤه مع علي بن أبي طالب ، فقتل أبناؤه أو قسم منهم في الحرب ، فلما آلت الخلافة إلى معاوية قال له معاوية تشفياً بقتلهم : يا أبا طريف ما صنعت الطرفات ؟ فجمع أسماء أبنائه المقتولين بجمع اسم واحد منهم على التغليب ، ويجوز أن يكون طرفة (٤) . ونحوه أيضاً قول بشر بن أبي خازم :

تؤمُّ بها الحدأة مياءً نخلٍ وفيها عن أبانين أزورارُ

وأبانان أبان وسلمى ، إلا أن العرب غلبت أباناً ، أما ما قال به الأستاذ أحمد زكي باشا من أن العاص «من العوص ولذلك يقال لهم الأعياص» ، فلا وجه له ، ومن أين جاء بياء الأعياص إن كان المفرد عوصاً ؟ وكيف أُعلت الواو ياءً ؟ ولو جمع عوص على أفعال لقليل أعواص ، كعون وأعوان وقوس وأقواس وثوب وأثواب . وقد رجعت إلى الكتب التي أحال عليها فلم أجد فيها ما يؤيد قوله هذا ولا غيره .

(ب) الاستشهاد بالشعر :

والدليل القاطع على أصالة الياء من العاصي وأبي العاصي أبني أمية هو الشعر . ومما يخص منه العاصي ، وهو والد أبي أحيحة سعيد ، قول أعشى ربيعة فيه ، كما في ديوان شعر الأعشى (ثعلب ص ٢٧٨) :
أبو العيص والعاصي وحرب ولم يكن أخ كأبي عمرو يُشدُّ به الأزرُ
وقول قنيع النصرى في موسى بن عمرو بن سعيد بن العاصي (مجالس ثعلب ٣٩٥/٢) :

(٤) أثبت خير عدي بن حاتم من ذاكرتي إبان تبيض المقالة ، وذلك في خزنة كتب إقبال بجامعة كشمير . ولم أنظر في الخزنة بكتاب يقضي على أسماء أبنائه ، ولا أحفظ منهم الا طريفاً ، وكان عدي يكنى به .

كُلُّ بني العاصي حمدتُ عطاءهم
وإني لموسى في العطاء للاثم
وقال الحطيئة في سعيد بن العاصي (الديوان/٢٥٦) :

فلولا الذي العاصي أبوه لعلقت
بحوران مجذام العشي عَصُوفُ
والعاصي في قول الحطيئة هو أبو الممدوح سعيد ، ومع أن قول الحطيئة أثبت
أصالة يائه فهي تحذف في كثير من نصوص النثر ، خصوصاً حين يكون مقروناً
باسم ابنه ، فيقال «سعيد بن العاص» . وأظن أنه سُمِّي «العاصي» باسم جدّه
العاصي بن أمية .

ومما يخص أبا العاصي من الشعر ، قول أمية بن أبي الصلت يرثيه
(أنساب الأشراف ٣٠٧/١) :

عينُ بكِّي بالمسيلات أبا العا
صي ولا تجمدي على دمه
وقال فيه حفيده عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي :

نماني أبو العاصي الأمين وهاشم
وعثمان والناسي الشهور القلمسُ
وقال بعضهم في عبد الرحمن ويحيى ابني الحكم (تأريخ الطبري ٥٣٦/٤) :

وفي ابنُ أبيير والرماح شوارع
بال أبي العاصي وفاء مذكرا
وقال كثير عزة في عبد الملك بن مروان (الموشح ص ٢٢) :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة
أجد المسدي سردها وأذالها
وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي فيه (تأريخ الطبري ٤٢١/٦) :

إن أبا العاصي وفي ذاك اعتصني
أوصي بنيه فوعوا عند الوصي

وقال البهيّ بن أبي رافع فيه (تأريخ الطبري ١٧١/٣) :

هو ابن أبي العاصي مراراً ويتمي
الى أسرة طابت له وجدود

وقال عبد الله بن قيس الرقيّات فيه (سمط اللآلي ٢٩٥/١) :

إنّ الفنيق الذي أبوه أبو الس.....

عاصي عليه الوقار والحُجُب

وقال الفرزدق يرثي بشر بن مروان (الديوان ٢١٧ / ١) :

أغرُّ أبو العاصي أبوه كأنما

تفرّجت الأبواب عن قمر بدر

وقال نصر بن سيّار في هشام بن عبد الملك (تأريخ الطبري ١٦٥/٧) :

أبو العاصي أبوه وعبدُ شمس

وحرَبُ والقمامةُ الكرامُ

ونسبة الشعراء عبد الملك وبشراً وهشاماً الى جدهم أبي العاصي بن أمية من

المألوف شعراً ونثراً . ومنه قول الأعشى في النبي صلى الله عليه وسلم :

متى ماتناخي عند باب ابن هاشم

تراحي وتلقي من فواضله ندى

ومنه قولهم عمر بن أبي ربيعة وانما هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . أما

حذف الياء من أبي العاصي في الشعر فلم أقف منه الا على شاهد واحد ، وهو

قول كثير بن كثير النوفلي في عمر بن عبد العزيز كما في سفر السعادة

: (٧٦/١)

مقاتلُ الأعراق في الطاب الطاب

بين أبي العاص وآل الخطّاب^(٥)

(٥) وكذلك هي نسبة البيت في اللسان (مادة : طيب) . ونسب في العقد الفريد (٤٥٠/٣) لأعرابي . وهو في المجمل في اللغة (٥٩٠/١) بلا نسبة . والعاص في هذه المراجع المذكورة أيضاً بلا ياء . ويجوز أن يكون الأصل في تأليف البيت بـ «العاصي» بالياء ، ثم حذفت الياء من قبل راو أو ناسخ ثم توالى الحذف في سائر المراجع ، والخروج عن السُنن قد يُعدي ، ولو كانت «العاصي» بالياء لكانت أجود وزناً وأصح لغة .

وما قيل من الشعر في أبي العاصي أكثر مما قيل في العاصي ، ذلك بأن حفيده مروان أسس الدولة مروانية ، وتتابع على خلافتها وإماراتها أبناؤه وأحفاده فكثير ما دحواهم من الشعراء .

(ج) ومن شواهد النثر لاثبات بقاء العاصي من أبني أمية نص ابن قتيبة في «المعارف» ، وتقدم ذكره (المادة ٢ - آ) . وفي فتوح البلدان « . . . ثم ولّى البحرين أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية» (٩٩/١) . وفيه أن ممن استشهد من المسلمين في اليمامة «عبد الله وهو الحكم بن سعيد بن العاصي بن أمية» (١٠٩/١) . وقال الزبير في «نسب قريش» في بعضهن «ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن العاصي» (ص ٤٥) ، وفي الكامل للمبرد «سعيد بن العاصي بن أمية» (١٤٥/١ مطبعة التقدم) . وفي تاريخ الطبري «وقتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاصي وأبان بن سعيد بن العاصي» (٥٧٢/٣) . وفي مجمع الأمثال أن ابن عباس قال في عبد الملك بن مروان «إن ابن أبي العاصي مشى اليقدمية» (ص ٤) . وعلق الأصمعي على هذا القول قائلاً «نسبه الى جدّه» . وفي العقد الفريد «لما رد عثمان الحكم بن أبي العاصي . . .» (٣٠٥/٤) . والعاصي بالياء في هذه النصوص وغيرها ليست غلطاً ، وإنما وقع أكثرها رواية ، وحذفت أسانيد قسم منها استخفافاً ، ودوّنت كما رويت ، وصحتها مؤيدة بما قدمته من قول فيها (المادة ٢ - آ ، ب) .

ليست الأسرتان من بيت واحد

(٣) والعاصي وأبو العاصي أبنا أمية لا يجمعهما مع العاصي والد عمرو بيت واحد . ولكل من الجهتين نسبها ، فأمية هو ابن عبد شمس بن مناف بن قصي . والعاصي والد عمرو هو ابن وائل بن هشام بن سهم ، انظر في حذف من نسب قريش (ص ٣٤) والمعارف (ص ١٢٤ و ١٨٢) . فقول الأستاذ أحمد زكي باشا

في أحبيحة سعيد بن العاصي بن أمية : «فيقولون العاصي في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت» غير صحيح .

قوله : «فيقولون العاصي في هذا الرجل»

(٤) وقوله «فيقولون العاصي في هذا الرجل» الوجه فيه «فيقولون العاصي لهذا الرجل» . فهذا موضع اللام لا في . والشواهد لذلك غاية في الكثرة :

(أ) ففي التنزيل (الانبياء/٦٠) : «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم» .
(ب) وفي معجم البلدان (أجأ) «وكان من خيرهما أن رجلاً من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى ، وكان لها حاضنة يقال لها العوجاء» .

(ج) وفيه (الأنبار) «وكان يقال لها الأهراء فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار» .

(د) وفيه (بَوْنَا) «والقصرُ : ناحية قرب الكوفة يقال لها بَوْنَا» .

(هـ) وفيه (تونس الغرب) جاء في تونس «عُمّرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة» .

(و) وفيه (الحجر) «وكان رجل من بني جُشم يقال له جَحْدَر يُخيف السبيل» .

وقد رجعت في الشواهد ، من بعد القرآن المجيد ، الى معجم البلدان ، لكونه بين يديّ ساعة كتبي مقالتي هذه ، ولعلمي بوفرة ما فيه من هذا التعبير ، وهي وفرة أغنتني عن الرجوع الى غيره ، ولم أر من يستعمل «في» بدل «اللام» في نحو هذا الموضع . فمن رآها فهي شاذة عن لَقَم الطريق ، فهم يقولون «يُقال له فلان» اذا أرادوا : يُسمّى فلاناً ، وهذا موضع اللام ، ولكنهم يقولون «يُقال فيه إنه كذا وكذا» اذا أرادوا أن يذكروا أمراً من أموره ، وهذا موضع في ، فإن زُكّي كأن يُقال «هو ذو علم غزير ، وخلق كريم» فقال بعضهم «هو يُقال فيه» فقد أراد قولاً أو أقاويل في الطعن عليه ، وقد أطلت القول في ذلك ، لأنني كنت قلت عبارة موجزة فيه لبعض الفضلاء فلاح عليه شيء من خلجة شك ، وانتشار رأي ، وفيما ذكرته فائدة له ولغيره .

مختصر القول

آ) فما قال به العلامة أحمد زكي باشا من أن الصحيح أن يقال (العاص) بلا ياء لعمر بن العاصي غلط ، بدلالة ما يُستفاد من أقوال ابن قتيبة والأخفش والنحاس ، وهو أن الأصل فيه العاصي بالياء (المادة ١ - آ) ، وبدلالة ما نصت عليه المصالحات والرسائل والشعر من إثبات الياء (المادة ١ - ج) ، ولإثباتها في عبارة للزجاج في تهذيب اللغة (المادة ١ - د) .

ب) وما قال به من أن الصحيح في اسم والد أبي أحيحة سعيد وغيره من أبناء البيت الأموي هو (العاص) بلا ياء ، أيضاً غلط . وذلك لشواهد الشعر التي ورد فيها اسما العاصي وأبي العاصي بالياء (المادة ٢ - ب) . ولإثبات ابن قتيبة الياء من أسنيهما ، وللحاشية التي أثبتها ناسخ كتاب «حذف من نسب قريش» (المادة ٢ - آ) ، ولشواهد النثر (المادة ٢ - ج) .

ج) وما قال به من أن الأعياص من عوض غلط ، لأن القياس في جمع عوض على أفعال أعواص كعون وأعاون ، وإنما الأعياص جمع عيص - وهو أحد أبناء أمية - كدين وأديان (المادة ٢ - آ) ،

د) وما قال به من أن عمرو بن العاصي والعاصي بن أمية من بيت واحد أيضاً غلط ، لأن عمراً هو ابن العاصي بن وائل بن هشام بن سهم ، في حين العاصي هو ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، كما في كتب الأنساب وغيرها (المادة ٣) .

وعندي أن حذف الياء من العاصي ليس بغلط ، وإنما الغلط أن يأتي أب إثباتها مع أنها أصل ، وخليق بالمعروفين بالفصاحة من الكتاب أن يثبتوا هذه الياء إن احتاجوا إلى أن يكتبوا اسم عمرو بن العاصي أو العاصي أو أبي العاصي أبني أمية ، ليعادل ما يثبتونه ما يحذفه غيرهم ، ولتتدارك أصل لغوي يوشك أن يموت .

رحم الله العلامة أحمد زكي باشا ، فقد كان ذخيرة علم وفضل ، مع جلاله
قدر ، ونباهة ذكر . وكان شاداً حيازيمه لإعلاء شأن اللغة العربية ، وللفتح عن
مخطوطاتها . وإذا كان عربياً في أصله ، فقد كان أيضاً عربياً في زيّه وقلبه ولسانه
الفصيح . والذي استدرسته عليه إنما هو من زبد بحره ، ورخيص دُرّه^(٦) .

(٦) المراجع المذكورة في هذه المقالة ، وهي تزيد على أربعين ، أكثرها من خزانة كتب SOAS التابعة لجامعة لندن .
وباقية من خزانة كتب إقبال من جامعة كشمير الواقعة في مدينة سريكار . وكشمير هي التي قال لها العرب قديماً
كشمير . وكانت القائمة بأمر الكتب العربية والأردية من مكتبة إقبال الأستاذة عتيقة بانو ATIKA BANO قد تناهت
في مساعدتي ، وذلك بتقديم ما أحتاج إليه من كتب ، وبتهيئة الحال الملائمة لكتب المقالة ، جزاها الله خيراً .

تعقيب على المستدرک علی شعر

أبي النجم العجلي

عبد الإله نبهان

حمص - سورية

كنت نشرت في العدد الثاني والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مستدرکاً مبدئياً علی ديوان أبي النجم العجلي ، وقد وقعت في النص بعض هفوات الطباعة أحببت أستدراكها وإلحاقها بفوائد نبهني إليها أخي الأستاذ مصطفى الجدري ، فقد قدّم لي ما ورد من شعر أبي النجم في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي البغدادي ١٥٧ - ٢٢٤هـ . فعدت إلى الكتاب ، واستخرجت الشاهد مع الحديث الوارد ، ووجدت الشواهد المذكورة منها ما لم يرد في الديوان فاقتضى الحال استدراكه ، ومنها ما ورد فاقتضى الأمر إضافة تخريجه . وقد رأيت أن أشفع ما ورد من شعر أبي النجم بما ورد من تعليقات أبي عبيد عليه . ثم قفّيت ذلك بفوائد علققتها من كتاب غريب الحديث للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي البُستي المتوفى سنة ٣٨٨هـ . وقد قدّمت أولاً ذكر المستدرک عن أبي عبيد ثم عن الخطّابي . وألحقت ذلك بذكر ما أشرت إليه من أغلاط طباعية وردت في مقالنا السابق في العدد المشار إليه .

أ - ما أخذناه من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد :

١ - قال أبو عبيد ١ : ١٣٤ : قد أشاح بوجهه إذا جدّ في قتالٍ أو غيره . قال أبو النجم في الجدّ يذكر العير والأتن :

قُباً أطاعت راعياً مُشيحاً لا منفِشاً رعيّاً ولا مُريحاً
يقول : إنه جادٌ في طلبها وطردُها ، والمنفِش : الذي يدعها ترعى ليلاً بغير
راعٍ ، يقول : فليس هذا الحمار كذلك ، ولكنه حافظ لها .
وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج ١٧ ب ٣ ، ٤ ص ٨٢ ، ٨٣ . وذكرناه ههنا
ليقترون بشرح أبي عبيد له .

٢ - ذكر في الديوان ق ١٣ ب ١ ص ٧٨ البيت : [من الطويل]
تقتلنا منها عيونٌ كأنها عيون المها ما طرُفهنّ بحادج
وذكر في تخريجه أنه في التهذيب واللسان . ونضيف أنه في غريب الحديث
للهروري ٤ : ١٠٠

٣ - ذكر في غريب الحديث ٤ : ٢٥٤ المثل الذي يُروى عن ابن عباس وابن عمر
وابن الزبير : عَشٌّ ولا تغتَرّ ، بمعنى خذ بالثقة والاحتياط . وللمثل قصة ذكرها
في غريب الحديث ، وفي كتابه الآخر الأمثال ص ٢١٢ برقم ٦٣٩ . واحتج
لذلك المعنى في غريب الحديث بقول أبي النجم :

عَشِّي فَعَيْلاً واصعري فيمن صَعَرُ

ولا تريدي الحرب واجتري الوبر

ورواية البيت الأول في الديوان ج ٢٤ ب ١٠ ص ١٠٥ عن الشعر والشعراء لابن
قتيبة :

عَشِّي تَمِيمٌ واصغري فيمن صَعُرُ

ويبدو أن أبا عبيد استبدل وزن فعيل بتميم ، ويبدو أن (واصغري) بالعين
المعجمة ، من الصَّغار تصحفت في الطباعة إلى (واصعري) بالعين المهملة من
الصَّعر وهو التكبر ، وكذلك حصل في «صعر» . ولا مناسبة للصَّعر ههنا لأن
المقام مقام هجاء وذم . ويبدو ههنا أن ما أثبتته محقق الديوان وجامعه عن الشعر
والشعراء هو الصواب . أما البيت الثاني الوارد في غريب الحديث فإنه لم يرد
في الديوان .

(*) نذكر هنا أن ج تعني أرجوزة . وب : البيت . وق : القصيدة .

قال أبو عبيد : يقول : خذي بالثقة في ترك الحرب ، وعليك بالإبل فعالجها ،
إنك لست بصاحبة حرب .

٤ - ورد في الديوان : ج ٢٤ ب ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ص ١٠٨ قوله :
يوم قَدَرْنَا والعزيرُ مَنْ قَدَرُ وآبَت الخيلُ وقضينا الوَطْرُ
من الصعافيقِ وأدركنا المثرُ

وقد خرّجها المحقق من التهذيب والجمهرة واللسان . وهي أيضاً في غريب
الحديث ٤ : ٤٤٣ وفسّر أبو عبيد الصعافيق بقوله : أراد بالصعافيق أنهم ضعفاء
ليست لهم شجاعة ولا قوّة على قتالنا .

٥ - ذكر أبو عبيد ٤ : ٢٢٢ حديثاً عن ابن عباس ورد فيه الحرف «رَجُلٌ» بمعنى
الجماعة الكثيرة من الجراد . فقال أبو النجم يصف الحُمْرَ وتطائر الحصى عن
حواقرها فقال :

كأنما المعزاء من نضالها رَجُلٌ جرادٍ طار عن خذّالها
وورد هذا الرجز في الفائق ٢ : ٤٧ مادة «رجل» وروى أوله : كأنما الغراء . .
ويبدو أنها مصحفة عن المعزاء ، لأن الرجز ورد أيضاً في اللسان ، والحيوان
٥ : ٥٦٣ برواية المعزاء .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج ٥٦ ب ١٢ ، ١٣ ص ١٦٣ نقلاً عن الحيوان
والفائق . وأثبت فقط الرواية التي رجّحها الأستاذ المحقق عبد السلام هارون
وهي :

رَجُلٌ جرادٍ طار عن جدالها

بالحاء والذال المهملتين ، بمعنى المراوغة كما دَوّنها محقق الحيوان في
الحاشية من غير أن يربط معنى البيت بها . ولم يشر محقق الديوان إلى رواية
الفائق واللسان وغريب الحديث «خُدّالها» .

٦ - ذكر أبو عبيد ٤ : ٢٢٠ ما ورد في حديث ابن عباس حين قيل له : أقرأ القرآن في
ثلاث . فقال : لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها أحبُّ إليّ من أن أقرأ كما تقول
هَدْرَمَةٌ .

قوله : هذرمةٌ يعني السرعة في القراءة وكذلك في الكلام . وقال أبو النجم يذم رجلاً :

وكان في المجلس جَمَّ الهَذْرَمَة ليشاً على الداهية المكتمة
وظاهر من تدبر المعنى أن البيت الأول ذم وهجاء والثاني مديح وإطراء حسب
هذه الرواية ، لذلك نرجح أن يكون الأصوب في رواية البيت الثاني ما ورد في
اللسان «هذرم» :

لَيْناً على الداهية المكتمة

فهذا اللين مناسب لسياق الذم .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج ٦٦ ب ١ - ٢ ص ٢١٩ وعلق عليه المحقق بقوله : إن أبا النجم يتمدح بجده الهذرمة ، وهذا تعليق عجيب . وقد ذكر أبو عبيد والزمخشري في الفائق ٤ : ٩٩ وصاحب اللسان أن البيت في ذم رجل .
٧ - ذكر أبو عبيد ٣ : ١١٧ الحديث الذي ورد فيه حرف «القاء» : يارسول الله إنا أهل قاهٍ وفسر «القاء» بأنه سرعة الإجابة وحسن المعاونة ، وأصله الطاعة . ومنه قول رؤبة بن العجاج ويقال إنها لأبي النجم :

تالله لولا النار أن نصلها أو يدعوا الناس علينا الله
لما سمعنا لأمير قاهها فأخطرت سعداً على قناهها
قال : يريد الطاعة .

قلت : ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في الفائق ٣ : ٣٢٧ مادة «قيه» منسوبة لرؤبة بن العجاج . ولم أجدها لا في ديوانه ولا ديوان أبيه .

ورأيت الرجز في اللسان «قيه» منسوباً للزفان السعدي ، وقبله :
ما بال عين شوقها استبكاها في رسم دار لبست بلاها
ثم ورد سائر الرجز باستثناء البيت الأخير .

ب - وهذا ما عثرنا عليه لأبي النجم في كتاب غريب الحديث للإمام الخطابي

٨ - ذكر في غريب الحديث ١ : ١٧٢ قوله : فدفعنا إلى المسجد فإذا هو بأزرٍ .
قال : بأزرٍ يريد بجمع كثير ضاق عنهم المسجد . الفضاء منهم أزرٌ والبيت منهم أزرٌ إذا غصّ بهم . وقال أبو النجم :

واجتمع الأقدام في ضيقٍ أزرُ

قلت : والرجز في التكملة للصاغاني واللسان «أرز» وقبله :

أنا أبو النجم إذا شدَّ الحَجُزُ

وروي الزاي هذا لم يرد في الديوان .

٩- وجاء في غريب الحديث ٢ : ٤٠٤ الحرف «فَرها» أي انظر إلى سَنها ، يعني سَن

الناقة . يقال : فررت الدابة إذا فتحتَ فاهها لتعرف سَنها . قال أبو النجم :

وكم تركنا بالفلاة جملاً يُفَرُّ للغربان نساباً أعصلاً

وهذا رجز لم يرد في الديوان .

١٠- الرجز في ج ٥٨ ب ٨٣ ، ٨٤ ص ١٩١ : الشول . . . الأيل يضاف إلى

تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٦٣ .

١١- الرجز في ج ٥٨ ب ٢٥ ص ١٨١ . . . سنام مجفل يضاف إلى تخريجه أنه في

غريب الحديث للخطابي ٢ : ٤٤٨ .

١٢- الرجز في ج ٧٤ ب ٧ ، ١ ص ٢٢٧ جَرأها - واهها يضاف إلى تخريجه أنه في

غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٦٤ .

ج - أما الأغلاط الطباعية التي وردت في مقالنا في العدد ٣٢ فهي :

- في ص ٢٥٨ سطر ١٣ : بضم الواو والصواب بضم الراء .

- في ص ٢٦١ السطر ١٥ ورد : الحذذ : هو حذف الوتر . . والصواب الوتر .

- في ص ٢٦٦ السطر الأخير : وصوب الرمل . . . وقد ورد هكذا في كتاب ما بنته

العرب على فعال للصاغاني . ويبدو أن صوابه كما أشار الأستاذ الحدري :

وصوب الرملة . . وبذلك يستقيم الوزن .

- في ص ٢٦٩ السطر ١٦ ورد : رابي المجسة . . والصواب : المسجس

- في ص ٢٧٨ سطر ١٥ ورد : غير رماد الحي والأثني والصواب : والأثني بالفاء

المعجمة .

وبعد ، فهذا جملة ما اجتمع لي مما استحسننت التعقيب به على مستدركي

الأول ، راجياً أن أكون قد أضفت شيئاً ذا بال على ما تقدّم . . وما زال رجز أبي النجم

بحاجة إلى كثير من العمل والجهد .

مصادر البحث

- كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام . تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش . منشورات جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٠هـ .
- التكملة والذيل والصلة للصاغاني . دار الكتب المصرية «الجزء ٣ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم» ١٩٧٣
- كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
- الشعر والشعراء لابن قتيبة - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ .
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦
- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي . تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي . منشورات جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي . طبعة ثانية .
- لسان العرب لابن منظور . دار صادر بيروت .